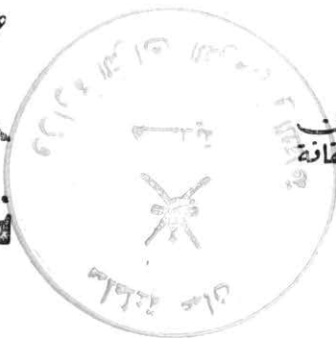


٢٦٧٧



سلطنة عمان
وزارة التراث والثقافة

الشَّوَاوِيَّة

من أهل عُمانِ الشَّمالِيةِ
"مجتمع رعي في طَربُوتِ النُّفَيرِ"

يقام: ج. م. بيركس

نوفمبر ١٩٨٢

مملكة ~~البحرين~~ عمان
وزارة التسيير القومي
المكتبه

الرقم العام : ٧٥٦
الرقم الخاص :

بسم الله الرحمن الرحيم



الشواوية من أهل عمان الشمالية

« مجتمع رعى في طريق التغير »

بقلم ج . س . بيركس

سلطنة عُمان بلاد يغلب عليها الطابع الريفي ، فما يزيد على ٨٥ ٪ من سكانها يعيشون خارج المدن والغالبية العظمى من هؤلاء السكان الريفيين يعيشون في مستوطنات أو حواضر تتراوح عددا بين ٢٥ ساكناً الى ما قد يزيد على ٨٠٠٠ ويعيش حوالى ١١ ٪ من السكان الريفيين في مساكن متفرقة خارج القرى أو في ضياع صغيرة من ٢٥ ساكناً أو أقل (١) . وبعضهم فلاحون يفلحون بساتين منعزلة واقعة حيث مستوى الماء الجوفى قريب الغور وكمية الماء كافية للرى بالآبار والمضخات . والأسر الأخرى التى تعيش في مساكن متفرقة لا يعتبرون الفلاحة حرفتهم الرئيسية وان ملكوا نخيلاً وبساتين ، وهؤلاء هم الشواوية .

هؤلاء الشواوية يشكلون قطاع الرعاة من المجتمع العماني (الى جانب البدو الذين يعيشون على اطراف الربع الخالى) وهم يعيشون خارج القرى ، رغم أنهم ذوو صلة قوية بها ،

وذلك كيلا تفسد الغنم والماعز ، التى تعودوا أن يستمدوا منها معظم رزقهم ، محصلات أهل القرى • وتعيش كل أسرة من أسر الشواوية فى ديار مؤقتة (تسمى فرقان ومفردها فريق) ، ينتقلون بينها تنقلا شبه منتظم •

شواوية الجبال

فى الجبال نجد حياة الشواوية أكثر التصاقا بالتقاليد ، وفى الجبال أيضا نجد الشواوية يشكلون أكبر نسبة عددية إذ يبلغون ٥٥ ٪ من السكان (٢) • وقد كان لبعد سكان الجبال هؤلاء وقلة القرى الكبيرة بينهم — التى تعتبر فى عمان مراكز التغيير والتجديد — أثر فى إعاقة تطور المجتمع تطورا سريعا كالذى حدث فى المناطق السهلة التى يتيسر الوصول إليها •

والفرقان فى الجبال تقع عادة عند ماء جار على سطح الأرض أو آبار قليلة الغور يكثر وجودها ، ولذا فالسكان مفرقون تقريبا واسعا ، مما يسمح بالانتفاع بالمرعى انتفاعا واسعا كذلك • وتختلف طبيعة مواقع الفرقان اختلافا كبيرا ، فكثير من الشواوية لا يزدون على أن يعيشوا تحت الأشجار على مدارج فى الجبال أو بطون الوديان ، ويعيش غيرهم فى

الكهوف ، وقد يعيش آخرون منهم فى بيوت من حجر • والغالبية العظمى من الاسر تنقل موقع سكناها مرة كل فصل على الأقل ، ولكنهم فى العادة لا يبعدون كثيرا فلا تزيد مسافة انتقالهم أكثر من كيلو مترين ، ويشرب ما يزيد على ٧٠ ٪ من الأسر من مورد ماء واحد على مدار السنة (٣) •

ومن المهم أن ندرك ان هذه التنقلات او النجعات لا تشكل نموذجا من انتقال الرعاة بين الجبال والتلال ، أى الاراضى المنخفضة • فهى تنقلات لا تجرى فى الدرجة الأولى من أجل فائدة الماشية نفسها بل إرضاء لحاجات السكان من البشر • فمن العوامل المألوفة وراء تغيير موقع البيت تبعا للفصول فى الجبال الصعود الى مكانٍ عالٍ فى الجبل حيث يهب نسيم الصيف أو هربا من الحيات والزنابير • ومن الأسباب المهمة أيضا فى التنقلات الدورية رغبتهم فى استرضاء الجن ، حسب معتقداتهم (٤) ، وقلَّ أن يكون تغيير موقع الفريق من أجل أن ترعى الماشية فى مراعى جديدة •

ويبلغ معدل ما تملك الاسرة الشواوية فى الجبال حوالى ستين رأسا من الاغنام والماعز • ورغم ان كل بيت يقتنى عددا قليلا من الاغنام الا ان الماعز غالب بينهم فقد تبين من تعداد حيوانات غرقان المناطق العالية أن ما يزيد على ٨٠ ٪ منها كان

ماغزاً • وهم يرون أن الأغنام ليست سريعة الحركة وليست من القوة بحيث تحتل الحياة في الجبال •

ويكاد نصف أسر الشواوية أن تملك كل واحدة منها بين ٥٠ و ٣٠٠ رأساً من الماعز ، وهو عدد يكفى ليقوم بأود أسرة من الرعاة • ولم يكن بين ١٣٤ أسرة إلا أربع أسر لم تكن تقتنى ماعزًا وأغنامًا • ولا يقتنون الجمال إلا قليلاً ومعدلها يقل عن جمل واحد لكل فريق • وقد نقص عدد الجمال نقصاً ملحوظاً في السنوات الخمس الأخيرة ، منذ انتشار استعمال سيارات اللاندروفر • ولم نلق إلا أسرة شواوية واحدة تقتنى بقرة •

وإذا قيس شواوية الجبال بمجتمعات رعاة أخرى ، وإذا استحضرنّا في الذهن ثروتهم من الحيوانات الصغيرة في الجبال ، وجدنا أنهم لا يبذلون إلا جهداً ضئيلاً نسبياً في العناية بماشييتهم (*) فإذا ما سقوا الماعز الماء وحلبوها وغدوا بها في الصباح خارج أرض المضرب أو المخيم تركوها تطلب مرعاهـا بنفسها طيلة اليوم • وعند غسق الليل يطعمونها بأيديهم فيعطونها عادة بعض التمر • ولذا فالقطعان تبقى معظم الوقت هملاً سائبة في المرعى بلا راعٍ • والعمل الأساسي للراعى ، إن وجد ، هو أن يمنع الماعز أن تدخل أرضاً قريبة مزروعة • ولذا فقد يغلب أن لا يعرف رب الأسرة مكان بعض الماشية

الضالة أو الشاردة وقد يبلغ ذلك ٢٠ ٪ من مجموع القطيع الذى يملكه .

وقد ينتج عن مثل هذا الشرور هلاك فى الماعز .
وأسباب هلاكها بنسبة تنازلية ، هى : الضبع والثعلب (وكذلك النمر) ، والسقوط من شاهق وأكل القفص (وهو نبات سام لم يحدد نوعه علمياً) . ورغم أنه يصعب تحديد نسبة عامة لما يهلك منها ، إلا أنه تبين أن الخسارة ، ما عدا موت السخول بعد الولادة مباشرة ، تبلغ حوالى ١٢ ٪ سنوياً بين ١٦ فريقاً عند حصر ما لديهم من ماشية . وقد تعدو الخسارة فى السخول عند الولادة ومن الاسقاط الى نسبة ٦٠ ٪ سنوياً . ولذا فالمعدلات العامة للمهلك فى بعض قطعان الجبال ضخمة ^(٦) . وهناك ما يدل على أن العناية وحسن التدبير قد ينقصان هذه المعدلات .

وجمعنا أيضاً معلومات عن عدد القطعان التى تباع وتذبح ، ولكن هذه المعلومات أقل دقة وذلك أن أرباب الأسر الشواوية ، وإن رأوا أهمية السؤال عن المهلك وأسبابه ، ارتابوا فى استدراج المعلومات عن البيع والتذبح . يزداد على ذلك أن مما ينبغى التنبيه عليه هو أن عدد الماعز الذى يباع يتباين تبايناً كبيراً فى فترات قصيرة حسب أحوال المرعى وحسب الاستجابة

للأسعار المعروضة • فالفرقان الثلاثة والعشرون التى وردت
باجابات مقنعة كانت تملك ما معدله ٧٦ رأسا وكانت تباع أو
تذبح ١٣ ٪ سنويا •

ولكن شواوية الجبال لا يعتمدون اعتمادا تاما على
قطعانهم ، ومن المشكوك فيه أن أحدهم فعل ذلك قط • فما
يزيد على ٨٠ ٪ من الفرقان يملكون نخيلا ، ورغم أن النخيل
لم يكن يعطى الأسر من الثمر ما يكفيهم إلا فى ١٣ ٪ من
الحالات ، إلا أن النخيل ركن مهم فى معاشهم فمنه قوت
للناس وعلف للماشية • ويغلب أن يكون نخيلهم فى حيل لا فى
قرية كبيرة • والحيل (وجمعه حيول) نبع ماء أو نزاز ماء
صغير ، يكثر أمثاله فى الجبال ، يستعمل لرى نخلات قليلة وربما
استعمل أيضا لرى بعض الغلات الزراعية الفصلية • وليس عند
مثل هذا الحيل بيوت ثابتة عادة ، وقليل من سكان القرى من
يملك نخيلا هناك • وتملك الشواوية النخيل فى الحيول له
مزية أن النخيل يكون قريبا من المراعى ، ولكن البساتين تبقى
دون حراسة فتتلف المحاصيل بفعل الماعز والزناوير والجرذان
والطيور • ولما كان كثير من النخيل ، على كل حال ، لا يعطى
إلا ثمرا قليلا وذلك لطول عمره وقلة سماده وإضرار الرياح
والشمس به ^(٨) فان تملك عدد كبير منه لا يعنى ضرورة انه
يأتى من الثمر بما يكفى •

وبعض الأسر ، وقد تكون نسبتها الربع — وإن تفاوت
الأمر تفاوتاً شاسعاً بين القبائل — تملك نخيلاً في القرى الكبيرة
على أطراف الجبال وفي الوديان الكبرى • وهم عادة لا يقومون
على رى هذه البساتين وتعهدوا بأنفسهم — بل يتركون ذلك
لبعض أهل القرى أو البيادير (مفردا بیدار) على نصيب من
الغلة وعلى أجر يدفع نقداً — وهو أمر يتزايد العمل به ،
ومن الشائع بين هؤلاء البيادير أن يتقاعسوا عن واجباتهم
فيهملوا نخيل الشواوية فتكون غلتها أقل مما كان يرجى منها •

ولذا ، ورغم أن الشواوية يملكون نخيلاً ، إلا أن معظمهم
يحتاج لشراء كميات كبيرة من التمر • وقد زعمت بعض الأسر
التي سألناها أنهم أنفقوا فوق ٢٠٠ ريال على التمر في العام
السابق ، وأنفق معظمهم فوق ٨٠ ريالاً • ورغم أن هذه المعلومات
ينبغي التحرز في قبولها إلا أنها هامة ، فهي تدل على قيام
معاملات كبرى بالنقد بين سكان الجبال وسكان القرى الكبرى
التي فيها فائض من محصول التمر ^(٩) • وهذا يعني أن نظام
حياة الرعى الجبلية لا يمكن اعتبارها نظاماً معاشياً اقتصادياً
مغلقاً على نفسه ولم يكن كذلك أمداً طويلاً من الدهر •
ومشتريات التمر دائماً مستمرة •

ولا يمكن دفع قيمتها من مبيعات ماشيتهم وحدها ،
ولكن شواوية الجبال كان لهم دوما مصادر رزق أخرى : فبيع
منتجات الألبان ، لا سيَّما في أزمان الأمطار ، يمكن أن يكون
كبيرا يغل دخلا قيِّما لهؤلاء الرعاة ، كما يغل لغيرهم . وهم
يكسبون من جمع عسل النحل وحطب النار ، ويأتيهم رزق من
نقل الأحمال ومن الخدمة في الجندية .

وعليه ، فرغم أن بعد موقع هؤلاء الناس هو الذي يَسرُّ
بقاء طريقة عيشهم المتوارثة نسبيا ، إلا انه يجب أن لا يبالغ
في عزلتهم عن مؤثرات السوق والحركة التجارية ولا في انعدام
الصلة بينهم وبين الجماعات الساكنة في الأراضي المنخفضة .

شواوية الظاهرة (١٠)

بينما نجد الشواوية في الجبال يشكلون نسبة كبيرة من
مجموعة السكان نجدهم في الظاهرة لا يبلغون الا حوالى ٥٪ .
وهم ، بسبب قلة عددهم ، أقرب أن يكونوا أتباعا يعيشون
في حمى شيوخ الجماعات الحضرية المحلية . ففي الظاهرة يصبح
التمييز بين أساليب عيش الشواوية وأساليب عيش القرية أكبر ،
وذلك في الدرجة الأولى بسبب كبر حجم الحواضر .

ورغم أن مواقع الفرقان في الظاهرة ، كمواقع الفرقان في الجبال ، تختار وفق تيسر موارد الماء إلا أن توزيعها في الظاهرة يختلف ، ذلك أنه ليس في هذه المنطقة المنخفضة ماء ظاهر جار بصورة طبيعية إلا بعد الأمطار الغزيرة • وكل موارد الماء التي يستعملها رعاة الظاهرة مصنوعة ، وبما أن الشواوية لم يحفروا لاستعمالهم الخاص إلا ٢٠ ٪ منها ، فهي عادة متباعدة قليلا • أما غالبية موارد الماء فمن صنع أهل القرى إما أفلاجاً (١١) وأما آباراً ينضح منها بالزاجرة •

وهذه الندرة وهذه الطبيعة في موارد الماء جعلتا الشواوية يتركزون في مساحات صغيرة في الظاهرة يبعد بينها مسافات واسعة غير مأهولة ، وجعلتهم يقتربون من سكان القرى ، حتى أن ٣٥ ٪ من الفرقان في الظاهرة يأخذون ماءهم من أفلاج القرى • وعلى خلاف الجبال ، حيث يستقل تقريبا ٢٠ ٪ من الفرقان بموارد مائهم أو يشارك أحدها الآخر ، نجد جميع فرقان الظاهرة ، إلا ثلاثة ، يشتركون في بئرهم مع أسرتين آخرين على الأقل • ولذا ، فرقان الظاهرة ، على وجه العموم ، يميلون الى الإقامة جماعات حول القرى ، في أعلى الوادى منها على الأغلب • وليس في المنطقة إلا فرقان قليلة تعيش معزولة •

ومن العوامل المهمة في اختيار موقع للفرقان في الظاهرة وجود ارض مزروعة مهجورة ، فحوالى ٧٨ ٪ منها قائمة على مثل هذه الارض او قريبا منها ، فهي تعطى خير مرعى ^(١٢) ويغلب ان يكون فيها اشجار ظليلة وآبار فيستغل الشواوية هذه وتلك معا .

ويميل الفرقان في الظاهرة الى التنقل أكثر من شواوية الجبال ، وينتقل نسبة كبيرة منهم انتقالا شبه منتظم مسافات أبعد ^(١٣) ولعل السبب وراء هذه التنقلات هو الرغبة في الانتقال الى قرب قرية زمن خراف التمر ، وهذا يوافق أيضا الانتقال الى قرب مورد ماء ميسور في وقت تكون الحاجة الى الماء على أشدها . بل ان عددا من الفرقان تنتقل فصليا من عند بئر عميقة الى بئر ضحلة تسهلا لرفع الماء مدة الصيف ، وسبب آخر للانتقال هو الرغبة في سكنى موقع نظيف خال من البعر والرماد وسائر الاوساخ والدمن التى تتجمع في موقع طالت الاقامة فيه .

ومع ان فرقان الظاهرة ، لذلك ، أكثر تنقلا من فرقان الجبال إلا ان هذه التنقلات أيضا ليست من أجل الماشية نفسها . ففى معظم الحالات ترعى الأغنام مرعى متماثلا قبل كل تغيير لموقع الأسرة وبعده . فشواوية الظاهرة كشواوية

الجبـال ، ينتقلون طلبا لتيسير مشقات الحياة البشرية لا طلبا
لنفع ماشيتهم •

ومعدل ما تملكه الأسرة الشواوية فى الظاهرة يقل عادة
عن نصف ما تملكه الأسرة الشواوية فى الجبال • ويكاد ثلثا
أسر فرقان الظاهرة أن تملك كل منها أقل من ٢٥ رأسا من
الماعز ، ولم نجد الا أسرة واحدة تملك أكثر من ١٠٠
رأس ، وكان ١٧ ٪ فقط يملكون أكثر من ٤٥ رأسا • ويختلف
شواوية هذه المنطقة عن شواوية الجبال فى امتلاكهم للأغنام ،
إذ أن كثيرا من أسر شواوية الظاهرة يملكون غالبية من الأغنام •
ويملك حوالى ١٦ ٪ من الشواوية ماشية من الأبقار ، وهذا
يدل على صلات وثيقة بالقرى ، ذلك أن البقرة ، إذا اريد لها
أن تصح وتسمن ، لا بد لها أن تغلف يوميا بالفصة ، ولا بد
لأصحابها أن يزوروا قرية كل يوم ليحصلوا على العلف • ويملك
فرقان الظاهرة أيضا جمالا أكثر ، رغم أن أعدادها تناقصت
أيضا نقصا واضحا •

ورغم أن أساليب الرعى وتدبير القطعان تتباين تباينا كبيرا
داخل الظاهرة الا انه من الواضح أن شواوية الأرض المنخفضة
هؤلاء ، الذين يملكون من الماشية أقل مما يملك سكان الجبال ،

يخصون قطعانهم ، على خلاف ما قد يقع في الوهم ، بوقت أكثر وجهد أعظم • وسبب ذلك قرب مراعى الظاهرة من مناطق الفلاحة ، فلا بد من زيادة العناية لمنع الماعز من دخول النخيل والبساتين حيث يمكن أن تحدث تلفا فادحا • ولذا يبقى الأولاد مع القطعان في الظاهرة ، وقد يحتاج الأمر أن تقيّد الأنعام التى ألقت الشرود والندود أو أن تودع الأقفاص فى الليل • ثم ان المشاركة فى مياه الآبار تعنى ترتيب الأحوال بحيث ترعى ماشية كل أسرة كل يوم دون أن تختلط فيما بينها • ويُباعد بين أوقات ورود الماء تحاشيا لاختلاط القطعان والفوضى ولكى يتيسر لمنسوب الماء فى الآبار وقت يكفى لارتفاعه مرة ثانية •

وصغر حجم قطعان أهل الظاهرة يعنى أن الدخل منها لا يعدو أن يكون صغيرا • والواقع أن حوالى ١٤٪ من الشواوية الذين جرى سؤالهم فى المنطقة لم يكونوا باعوا شيئا من ماشيتهم على مدى سنة أو أكثر ، ولم يبيع بعضهم شيئا مدة سنوات أربع أو خمس • بل ان بعض الأسر اشترت من الماشية أكثر مما باعت •

ومن يمتلك نخيلا من بين الشواوية القاطنين فى الظاهرة (٦٠٪) أقل ممن يملك النخيل فى الجبال • ومن كان منهم

يملك نخيلا فنخيلهم عادة في القرى القريبة ، وهم يقومون على ريه وتأبير ثمره بأنفسهم ، ولا يستخدم البيادير منهم إلا الغنى أو الكسول . وهم يملكون من الشجر عادة أكثر مما يملك الشواوية الجبال ، ومع ذلك فإن معظم أسر الشواوية في الظاهرة محتاجون الى شراء التمر ، فقطعانهم أصغر ولكنها تطعم باليد كميات أكبر بسبب زيادة نقص المرعى نسبيا . وإلى جانب ما يشترون من التمر كانت بعض الأسر تتلقى تمرا يكفيها في بعض الحالات سائر العام . وهذه العطايا من مصدرين : من الشيوخ ، وهى فى العادة وفاء بديون سياسية سابقة ، ومن أهل القرى الذين يقوم الشواوية على وعاية مواشيهم . ومع أن الأجر على رعاية الماشية قد يكون نقدا إلا ان الدفع بعطايا من التمر أشيع وأعم ، وهو مظهر تقليدى من مظاهر التعامل التجارى المحلى . ومع ذلك كله فبعض الأسر فى الظاهرة

تتنفق على شراء التمر مبالغ أكبر مما يفعل أهل الجبال . والمألوف أن كثيرا من المال الذى يدفع ثمنا للتمر ولحاجات العيش الأخرى كالشاي والسكر مصدره بيع الماشية ، وما تبقى يقوم بسداده بيع منتجات الألبان والعسل وصيد البر والأجر على نقل سلع التجارة . أما اليوم فقد صار حجم القطعان من الصغر بحيث يجد الشواوية أنفسهم معتمدين

اعتمادا يكاد يكون تاما على مصدر آخر للرزق هو الدخل النقدي المكتسب من أجور العمال المهاجرين •

أثر تنقلات العمال المهاجرين على الشواوية

أصبح رحيل الرجال الى مناطق العمران المجاورة بل منطقة العاصمة من السلطنة نفسها (في مسقط ومطرح) جزءاً ثابتاً من حياة الشواوية اليوم بل ومدار حياتهم تقريبا ، لا سيما بين شواوية الظاهرة •

وفي أول الأمر لم تؤثر فترات الغياب على تربية الماشية في صورتها التقليدية ، فقد كان المجتمع الرعوى العماني ، كمعظم المجتمعات الأخرى ، فيه مقدار من « بطالة » الذكور الفائضين عن حاجة العمل فلم تزد هجرة العمال في أوائلها على أن امتصت هذا الفائض • وكان من حسنات ذلك أن صارت اليد العاملة العاطلة عن العمل فيما سبق مصدرا للدخل النقدي بدل أن تعيش عالة على الموارد المحلية • ولكن مع مضي الزمن صار للأجر النقدي المكتسب من الاغراء والجازبية ما دفع أعدادا متزايدة من الرجال الى الرحيل تاركين للنساء العمل الذي كانوا يقومون به عادة •

وقد ارتفع معدّل الغياب بين السكان الشواوية اليوم حتى بلغ ١٧ ٪ منهم ^(١٤) . ولا تعدّ هذه نسبة عالية فريدة بين جماعة تشكل مصدرا للعمال المهاجرين ^(١٥) . ولكن هذا التحول في اليد العاملة عن الأعمال المعهودة تتضح دلالاته إذا أخذنا بعين الاعتبار أعمار المتغيين وأدركنا أن معظمهم من الذكور . فقد كان ٧٠ ٪ تقريبا تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ٤٠ متغيين بين السكان الشواوية الذين اخترناهم نماذج للدراسة . وقد كانت نسبة الرجال الغائبين شيئا من هذا القبيل بين كل الجماعات التي حصرناها ، وتدل بيانات البحث الميداني أن عدد الرجال المتغيين من أسر شواوية الجبال ، حتى في أقصى الأماكن ، لا يقل إلا شيئا قليلا عن المتغيين من بين أسر الظاهرة القرية من الطرق الرئيسية .

وكثير من الفرقان لا يكون بين قاطنيها ذكر بالغ واحد فينتقل دور رب الأسرة إما إلى صبي يافع أو إلى الزوجة . وعندما يعود المهاجرون مؤقتا غانما يعودون لفترات استجمام وبذلك لا يسهمون الا قليلا في الاقتصاد التقليدي ، ولذا فان انقطاع هذه الجماعة التي هي في أنشط العمر عن حياة الرعي قد ألحق بالمجتمع خسارة شديدة وانتشر التفلك في مجتمع الرعي وتربية الماشية ، لا سيّما في الظاهرة ، رغم تزايد نشاط الدور

الذى تقوم به المرأة • فقد خربت الآبار ونقص مستوى العناية بالابل والماعز (فالنساء مثلا ، لم يأخذن على أنفسهن أن ييحثن عن القطعان الضالة أو الشاردة) وغاب الرجال عن تنظيم تنقلات الفريق وتعهده •

وفى الوقت نفسه شهدت عمان ارتفاعا بالغا فى ثمن اللحم مما دفع كثيرا من الشواوية (هم كذلك من أهل الظاهرة) أن يفرطوا فى البيع من قطعانهم • وقد أدى هذا الأمر ، مع هبوط مستوى تربية الماشية ، الى نقص واضح فى أعدادها • ولما صار العمال المهاجرون يضيقون اليوم حتى بالاحتفاظ بقطيع صغير فان أعداد الماشية لم ترجع قط الى ما كانت عليه • وكانت النتيجة أن كثيرا من شواوية الظاهرة لا يكادون يستفيدون من قطعانهم المتناقصة إلا بمقادير صغيرة من اللبن ولحم الذبائح التى تنحر فى الأعياد ، فهم يستهلكون من اللحم واللبن الملبين أكثر مما يستمدون من ماشيتهم • وبذلك كفشوا فى الحقيقة عن أن يكونوا أهل رعى •

ولكنهم مع ذلك يحتفظون بطراز حياة الشواوية فينقلون منازلهم من موقع الى موقع مع الفصول وبلا انتظام معا ويعيشون فى مساكن متفرقة غير دائمة • وواضح أن هذا مغالطة لأحوال

الزمن من حيث أن العلة الموجبة لطراز الحياة المتنقلة — وهى
الماشية — لم تعد تسد إلا قدراً ضئيلاً فى اقتصاد حياة
الشواوية فى مناطق كبيرة من ظاهرة عمان • لقد بينّا أن الناس
أيضاً يستمدون بعض النفع من تنقلات الفريق ، ولكن ليس
واضحاً ما الذى يَبْقَى هذه الأسر فى مواقعها المعزولة بعيدة
عن سكان القرى ، ولعل خير ما يفسر ذلك هو التعلق بالمعهود
الموروث ، بشيء من مظاهر « الذهنية الشواوية » ، قياساً على
ما يسميه كثير من الكتاب « الذهنية » أو « النفسية البدوية » ،
ولعله يكون أقرب للواقع أن نفسّرهُ بمقدار من النفور المتبادل
بين أهل القرى (الحضر) والشواوية •

وهذا التحوّل التام فى اقتصاد شواوية الظاهرة من رعى
الى اقتصاد قائم على دخل نقدى ليس ، فى حد ذاته ، أمراً
عظيم الخطر فى الوقت الحاضر • فكثير من الرعاة هؤلاء لم
يكونوا قط يملكون قطعاناً تبلغ ، مثلاً ، أعداد قطعان أهل
الجبال ، ولذا فإن الخسارة فى مصدر اللحم قد يعوضها
اشتغال رجال الشواوية بالعمل فى مناطق الحضر •

ولكن الخطر أن يقع مثل هذا الأمر لشواوية الجبال
ويزيل مظاهر حياتهم • والواقع ان هناك دلائل على أن هذا
الأمر قد بدا • وإذا حدث فى الجبال مثل ما حدث فى الظاهرة من

تناقص القطعان فإن الأثر على عمان يكون عندها أخطر وأعظم
ضررا من نواح كثيرة •

والأهمية الخاصة للرعاة في جبال عمان الشمالية
اليوم تكمن في أنهم وحدهم ، دون سائر جماعات الرعاة ، بقوا
يملكون فائضا من حيوانات الذبح للبيع في السوق ^(١٦) •
فالدروع ، الذين كانوا يُمونون القرى الكبيرة في الظاهرة بلحم
الذبائح من الابل والأغنام والماعز ، يملكون اليوم من الماشية
أقل بكثير مما كانوا يملكون في الماضي ، وقد بيّنا كيف أن
أعدادا كبيرة من شواوية الظاهرة لم يعودوا في الواقع رعاة •
وقد كانت النتيجة أن الحكومة صارت تستورد كميات كبيرة من
اللحم ، ماشية حية ولحوما معلبة • وضياع مورد لحم الماعز ،
ومورد لحم الخروف والضأن الى حد أقل ، من شواوية الجبال
سيرفع أسعار اللحوم فوق ما ارتفعت يعقبه زيادة في استيراد
اللحوم •

والدعوة الى الابقاء على مصدر اللحوم من جبال عمان
لا يعنى أن نسعى لبقاء طراز حياة شواوية على ما هي عليه ،
وذلك قطعا لا يعنى أن حياة الرعى هذه ، التي كثيرا ما أضفى
عليها مسحة رومانتيكية ، ينبغي أن تتحجر ويحافظ عليها بسبب

قيمة ذاتية روحية أو تاريخية تتمتع بها • ولكننا نرى أنه ينبغي أن يقوم في الجبال اقتصاد تربية ماشية سليم يضمن استمرار مورد اللحوم في المستقبل دون أن يكون فيه إفساد للبيئة ، ويرضى به رعاة الماشية لا لما يأتيهم به من دخل واقعى بل أيضا لأنه يحوى نمطا جذاباً من الحياة (عند العمانيين) له ، فى الوقت نفسه ، صلة بأسباب العيش الحديثة •

ولعل الوقت الباقي للنظر فى مثل هذه الخطة وتنفيذها قصير • فقد نبهنا الى أن معدلات الغياب بين الرجال من أهل الجبال بدأت تقترب من المعدلات السائدة بين شواوية الظاهرة • وقياسا على تفكك مجتمع الرعى فى الظاهرة ، فإن هذا المستوى من الغياب كانت نتيجته أن أعداد القطعان التى تملكها أسرة الغائبين تتناقص سريعا • ولم تبق رعاية الماشية محصور الحياة فى الجبال حتى اليوم إلا لقصر الوقت الذى مضى على تحركات العمال وهجرتهم •

ولا يزال شواوية الجبال يعتبرون الدخل النقدى المتحصل من هجرة اليد العاملة اضافة (لها قيمتها على كل حال) الى موارد رزقهم المعهودة المتوارثة • فرؤوس الأسر مثلا يرسلون أبناءهم للعمل بهدف رفع قدرتهم على زيادة مؤونتهم من

التمر لماشيتهم لتبقى صحيحة سميئة • وفي أوقات الجفاف يزداد السعى لكسب النقود ولكن عندما تكون المراعى وغيرة يقضى العمال المهاجرون وقتا أكثر فى ديارهم — فدخلهم يستعمل لحماية القطعان وتحسين أحوالهم •

ولكن مع مرور الوقت فإن الدخل النقدى قد يستعمل لسداد حاجات الأسرة كلها مباشرة ويصبح الماعز أمرا على هامش معاش الفريق واقتصاده • ويزداد احتمال وقوع هذا الأمر كلما ضعفت هبة أرباب الأسر المتعلقين بالمعهود المتوارث مع تقدمهم فى السن أو بوفاتهم وتحول أولادهم ، ممن تمتعوا طويلا بدخل نقدى ، عن الاهتمام بقطعان الأسرة يوما بعد يوم •

ولا يتوقف التناقص السريع فى أعداد الماعز فى الجبال على تغيير فى الظروف ، فالأحوال التى سببت النقص فى أعداد الماشية بين جماعات الرعى الأخرى ، بما فى ذلك بدو الربع الخالى ، قائمة الآن ، وإنما تحتاج الى تغيير يسير فى موقف الناس لا شك أن الزمن كفىل بأن يحدثه •

وقد قامت دلائل كثيرة على أن نظام تربية الماشية السائد فى الجبال قد دبّ اليه الفساد • وقد نبهنا أن الأسباب وراء

تعبير مواقع الفرقان في الجبال مع الفصول أصبحت ، كما في الظاهرة أيضاً ، متصلة بما فيه نفع للبشر بدل نفع القطعان • زد على ذلك أن الحالات التي يكون فيها انتقال الفريق مضراً فعلاً بالماشية بدأت تشيع وتزداد • فقد زرنا عدداً من الفرقان نقلت مواقعها الى جانب الطرق تسهيلاً لانتقالات العمال المهاجرين ^(١٧) ، وقد قاموا بهذه الانتقالات رغم إقرارهم أن المراعى حول المكان الجديد كانت أقل جودة من المراعى التي كانوا يرعون فيها من قبل • ومثل هذه الانتقالات توضح تبدل الأولويات عند شواوية الجبال وتناقض اهتمامهم بخير قطعانهم • وقد تحدث أحياناً حالات من هذا القبيل مثل انتقال الفويق من الجبال الى الأرض الواطئة دفعة واحدة وبيع معظم القطيع • ومثل هذا الانتقال قد يكون بداية تدفق عظيم لشواوية الجبال ما لم تُتخذ الخطوات لتحسين حياة رعاية الماشية الجبلية عند العمانيين •

رغم أن تناقص السكان في المناطق الريفية المرتفعة ، يعتبر تطور طبيعي في المناطق النامية — مثل بريطانيا زمن الرومان ومثل فرنسا وسويسرا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، إلا أن تفرغ الجبال من السكان القائمين برعاية الماشية قد يكون له عواقب غير محمودة تتراوح بين تزايد سريع جداً في عدد سكان المدن وبين اضطراب حبل الموارد التي تمون السوق

بالماشية • إننا ندرك أن سلطات الدولة لا بدّ لها أن تولي العناية لجهود التنمية في المناطق التي يكون النشاط الاقتصادي فيها مركزا وأقل بعثرة • ولكن إذا وجهت بعض التدابير الى المناطق الجبلية القليلة السكان فلا شك أنها ستترك مجالا لمعدّل معقول من التغيير والتكيف بين الشواوية ليلآئم أحوال العيش الجديدة في عمان •

وخير مبادرة في هذا المجال هي أن يوجه الاهتمام الى توفير تسهيلات بيطرية متنقلة خدمة لأصحاب القطعان • وينبغي أن تقتصر بخدمات طبية يمكن أيضا أن تحمل الى الفرقان • ثم أن الاعتناء بصحة الحيوان والانسان في الجبال ، بغض النظر عن قيمته الأساسية ، سيعود بفائدة عظيمة على العلاقات العامة بحيث أن أية تدابير جديدة للتنمية في المستقبل ستلقى قبولا أكثر عند الشواوية حتى ولو كانت أقل استمالة لهم • وإذا تحقق الحافز سريعا للقيام بدراسة محددة (لكن على مقياس صغير) لأنواع الماشية ومحطات التسويق ووسائل تحقيق الكسب لأصحاب القطعان فان ذلك سيؤدي الى تدابير غايتها توفير الدعم لنظام تربية الماشية الحالية والحيلولة دون ازدياد اضمحلالها ثم بعد ذلك تحسين حالة شواوية الجبال وفي الوقت نفسه ضمان موارد من اللحم الجيّد النوع •

(١) معلومات قائمة على الإحصاء العام ومساحة الحياة البيئية في مشروع البحث العماني الذي قامت به جامعة درهام .
فقد تم في ١٩٧٤ - ١٩٧٥ تعداد حوالي ١٧٠٠٠ شخص يعيشون في قرى وفي مساكن مفرقة . والنتائج الكاملة لتحليل هذه المعلومات ستظهر في التقارير القادمة لمشروع درهام للبحث العماني .

(٢) مبنى على حسابات تتعلق بسكان رؤوس الينابيع في وديان بنى عمر والضلة والحواسنة والوادي العريض والوادي الكبير .

(٣) هذه التنقلات موضحة بخرائط في تقارير درهام وفي دراسة عن تحركات السكان ستنشر في المستقبل .

(٤) قد تقع مثل هذه النقلة بعد موت طفل أو بعد فترة يمرض فيها واحد من سكان الفريق .

(٥) أنظر مثلاً للمقارنة :

Johnson, D. L., 1969. The Nature of Nomadism,

Chicago : and Barth F., 1961, Nomads of South Persia :
the Basseri Tribe of the Khamseh Confederacy, London.

(٦) هذه الأرقام تعتمد على عمل ميداني جرى في فترة جفاف خطير في رؤوس الينابيع في هذه الأودية • أما الأرقام المستمدة من عمل ميداني زمن فترة السيول فقد تأتي على خلاف ذلك •

(٧) قد يتأثر معدل الهلاك والخسارة هذا متأثرا جليا بأحوال الجفاف النسبي •

(٨) النخيل الذي في الحيل ، حيث لا يقف على شكل بساتين مكتظة ، يتأثر بالرياح والشمس أكثر مما يتأثر النخيل في القرى الكبيرة حيث يحمي الشجر بعضه بعضا •

(٩) نكرر هنا أيضا أنه لما كانت المعلومات جمعت في فترة جفاف فقد تكون هذه الأرقام أعلى منها في سنة عادية • لكنها قيِّمة على كل حال من حيث أنها تدل على المستوى الذي قد تبلغه المشتريات •

(١٠) رغم أن تحديد الظاهرة يختلف إلا أننا هنا نقصد بها الأجزاء الوسطى من الوادي العريض (الجفرة) والوادي الكبير ووادي الهجر ووادي العين •

وكثير مما يقال في هذا القسم عن الظاهرة ينطبق على
شواوية الأرض الواطئة الذين يعيشون بين الجبال والبحر •
أما شواوية المناطق الأخرى الذين شملتهم منطقة العمل الميداني
لمشروع عمان — جامعة درهام فيرد وصفهم في تقارير مشروع
البحث العماني لجامعة درهام التي ينتظر نشرها قريباً •

(١١) أنظر :

Twistleton - Wykeham - Fiennes, R., 1970 «Sweet Water
for the Hottest Land», Geographical Magazine, 42, 12.

(١٢) هذه المراعى من أجود ما يكون • فماء المطر يتجمع
بفعل سدود الرى القديمة والتربة خصبة لأنها سبق أن فلتحت
وسمّدت •

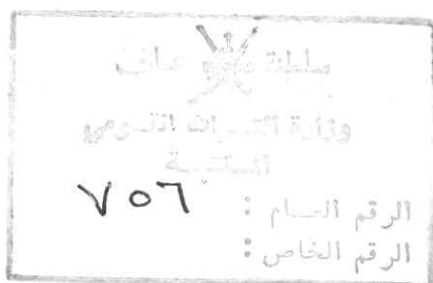
(١٣) أنظر تقارير مشروع البحث العماني لجامعة درهام
التي ستُنشر قريباً •

(١٤) كالسابق •

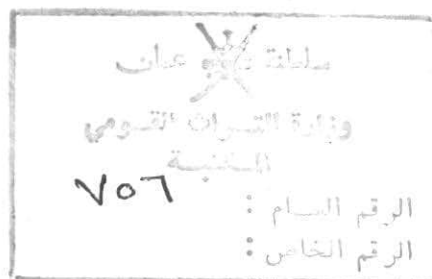
(١٥) فمثلاً ١٧ ٪ من الباسوتو يتغيّبون بسبب الهجرة
للعمل في جنوب افريقيا •

(١٦) ٧٠ — ٨٠ ٪ من الأنعام الصغيرة التى تباع فى الأسواق موردها من الشواوية •

(١٧) هذه الأسر تستفيد أيضا فوائد أخرى من سكنها قرب الطريق ، ولكن تيسير السفر فى ذهاب العمال المهاجرين وإيابهم كان أهم سبب ذكره تعليلا لنقلات الفرقان هذه •



رقم الايداع ١٨٨٧ لسنة ١٩٨٣



مطابع سجل العرب